مجلة الرائد

العدد : ١٩١ الموافق في صفر ١٤١٨ هجري ٧ / ١٩٩٧ ميلادي

عنوان المقال : الشعيرة المضيعة	بقلم : محمد ياسر قضماني

« اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضاً ، ولا ينهى بعضنا بعضاً ، ولا يذرنا الله على هذا ! فليت شعري أي عذاب الله ينزل ! »

هذه كلمات مؤثرة قالها مالك بن دينار رحمه الله ، وهي من الآثار التي تنضح بالصدق ، والإخلاص ، والشفقة على هذه الأمة.

حقاً لقد آثرنا شهواتنا الردية على شريعتنا الزكية ، وكلنا - إلا من رحم الله وقليل ما هم - نعبٌ من الآثام والتفريط ، وهذا ليس مبالغة ؛ فمن يطالع طرائق حياتنا يجدها مماثلة لحياة النصارى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، بل إن كثيرين في بلادنا يسكرون في ليالي " الميلاد " سكراً يُزري بعبّاد الصليب !!

أقول : لقد افتضحنا فاصطلحنا على الرضا بالمنكرات والآثام ؛ إذ كيف ينكر المرء شيئاً هو مقيم عليه ، أو يذمّ شيئاً يستملحه ؟.

يقول مالك بن دينار رحمه الله : ليت شعري أي عذاب الله ينزل ! أقول : رحمك الله يا مالك ! تقول هذا وأنت من أهل القرن الثاني فكيف بك لو أدركت زماننا ؟!

ماذا بك لو رأيت طلاب العلم - الشرعي لا غيره - تفوتهم صلاة الصبح إلا من رحم الله ! وإن صلى ففي الوقت المكروه ! ماذا بك لو رأيت الكثيرين من المتدينين يسهرون على " أفلام " و " تمثيليات " إلى وقت السَّحر الشريف العزيز ؟! كيف بك لو أدركت زمن الغربة الحقيقي ؟.

يا أيها الإخوة ما قبّح الشرع والدين شيئاً كتقبيحه صورة العالم المفرِّط بعلمه ، أو الراضي بالمنكرات والمعاصي.

وقد سئل الصحابي الجليل - حذيفة بن اليمان - عن ميت الأحياء ، فقال : الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه.

أقول : هذا عين الحق ! ألم يقل نبينا ﷺ : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ؟

فمن لم يتأثر من وقوع المعصية ، ولم يتمعّر وجهه لها ، ولم ينكر حتى بقلبه فهذا لا يمكن أن يقال فيه حياة ولا إحساس وإلا فأين أدنى مراتب الإيمان ؟!.

ألا تدري يا أخي المسلم أنه يتعلق بك يوم القيامة رجال يلومونك ويحاجونك أن لم تنكر عليهم حين عصَوا بجوارك ؟!

وقد ذُكر عن أبي هريرة ﷺ أنه قال : كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول : كنت تراني على الخطأ وعلى المنكر ولا تنهاني !

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد بسنده عن مالك بن دينار أنه قال : قرأت في التوراة : من كان له جار يعمل المعاصي فهو شريكه. أقول : ما قاله الإمام مالك بن دينار رحمه الله له ما يؤيده في كتابنا حيث قال الله تعالى : { **لُعِنَ الذينَ كفروا من بني إسرائيل على لسانِ داود وعيسى ابنِ مريمَ ذلك بما عَصَوا وكانوا يعتدون ۞ كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون** }[المائدة:٧٨-٧٩].

وجاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال :{ لعن الذين... } الآية إلى قوله { فاسقون }. ثم قال : كلا والله لتأمرونّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنّه على الحق أطراً ، أو لَتَقْصُرنّه على الحق قصراً ».

أرأيت أخي المسلم خطرَ وشؤم التهاون بهذه الشعيرة ؟!.

وأختم بهذه الموعظة ؛ علنا نراجع أحوالنا مع عزّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : قال محمد بن الحسين الجوهري : سمعت ذا النون المصري - قدس الله روحه - يقول : يا أيها الناس هذا أوان ينصح فيه الأحياء ؛ إذ الأموات في غمرتهم يعمهون ، حين غدا الدين غريباً منبوذاً ، وغدا أهله غرباء مهينين؟؟؟ ، قد أقبلوا على أكل الحرام ، وتركوا طلب الحلال ، ورفضوا المعروف ، وأقبلوا على المنكر ، وتركوا الجهاد ، فأظلمت الأرض بعد نورها ، ورضيت العلماء من العلم بعلمهم ! فانتبهوا أيها الأموات ، وإخوان الأموات ، وجيران الأموات ، وعن قليل أنتم أموات ، قد كثرت الدواهي ، وقلت النواهي.

اللهم زدنا حرقة على دينك ، وغيرة على سنة نبيك ، يا رب العالمين.